

أجمل عبارة تحرك بها لساني:

التاريخ رواية طويلة . . . أديبها الله عز وجل .

المقدمة :

التاريخ هو مسيرة الحضارة و نفق تطور الأمم و الخط الذي تسير عليه الدنيا حتى ينقطع فتقطع ، و التاريخ يحتوي العبرة و القصة و الفائدة وإلا لما سردت الكتب السماوية تاريخ الأمم من قبل ولا شك أن قارئ التاريخ أفقه للواقع و قادر على تخمين المستقبل لأن التاريخ له قواعد لسيره و سنن لا تكاد تتبدل.

ومن خلال قراءتي له و ومن آلاف الصفحات رأيت أن أستخرج منها ما أعرضه للمكتبة العربية و للقارئ العربي فأنا بهذا الكتاب إنما ألخص ما قرأته عبر سنين كاملة و عبر مجلدات كثيرة و أكوام كالجبال من الصفحات!

ولا أنسى أن أهدي هذا العمل لأبي المهندس عبد الرحيم العثمان و لوالدتي نجاح السمكان اللذان سهرتا الليل و سعيًا بالنهار لأحمل القلم الذي أكتب به ما كتبه.

كما لا أنسى أن أعذر عن أخطاء الطبيعة البشرية و أبلغ القارئ الكريم أن هذا العمل تم بجهود فردية بشكل كامل فلم يشترك معي أحدٌ أبداً في إعداده.

أولا : الرقة العاصمة الرسمية للدولة العباسية .

صدم الناس بنقل العاصمة من بغداد إلى الرقة . .

و الدولة العباسية هي دولة عربيّة القيادة متعددة المكونات لا تعتمد على العنصر العربي بمفرده في المناصب الحكومية بل تجنح كثيرا إلى المكون الفارسي و التركي على عكس الدولة الأموية التي كانت أشبه ما تكون بالدولة " القوميّة " العربية حيث لا تفوض المناصب الحكومية و كراسي الدولة سوى للعرب فقط ، و الدولة العباسية لا مركزية الحكم في غالب أوقاتها ، قامت بثورة أجنبية " فارسية بمعظمها " على الدولة العربية القومية في دمشق - أعني الدولة الأموية - قاد هذه الثورة الأجنبية العائلة العباسية الهاشمية العربية (ولهذا تعتبر الدولة العباسية نظريًا عربيّة رغم جيشها ذا الأغلبية الفارسية) وقد نجحت بقلب الطاولة

على الأمويين و استحوذ بني العباس على السلطنة و قتلوا آخر الخلفاء
الأمويين الخليفة الوسيم " مروان بن محمد الأموي " و ذلك في مصر
بعد عملية مطاردة بدأت من العراق تحديدا عند نهر الزاب الأكبر حيث
تلقى الأمويين هزيمتهم المريرة لتسقط بذلك دولة عظيمة فاتحة عاش
العرب في عهدها في رخاء و غنا و سلطة ولا يزال العرب ينعونها حتى
اليوم و يتباكون عليها و حق لهم ذلك فما عشنا نحن العرب عزا ولا قوة
ولا سلطانا كالذي عشناه في أيام بني أمية .

ابتدأ عهد الدولة العباسية بالبيعة للخليفة " أبي العباس السفاح " و لم
يحكم كثيرا حتى واقته المنية و تسلّم ولي عهده " أبو جعفر المنصور "
الذي أعطاهما لولي عهده وولده " محمد المهدي " وكان له جملة أولاد
منهم : موسى و هارون .

فكتب بالولاية من بعده لابنه موسى الهادي . الذي ارتكب مجزرة فح
الشبيهة بمجزرة كربلاء بحق آل الإمام علي . ثم من بعد موسى تسلم
الخليفة هارون الرشيد .

أحدث هارون سابقة تاريخية في الدولة العباسية حين نقل عاصمة
الدولة العباسية من بغداد العراقية إلى مدينة الرقة السورية على ضفاف
نهر الفرات .

ابنى هارون قصره في الرقة و أقام فيها برفقة وزرائه البرامكة و
أشراف بني العباس و مسؤولي الدولة العباسية وولديه الأمين و المأمون .
وكي يؤكد هارون على هذه الخطوة قام في عام 182 هـ بأخذ البيعة
لولديه الأمين و المأمون في مدينة الرقة بعد عودته من الحج .^I

راجع ابن كثير 13 / 614 ¹

و سبب نقل العاصمة المفاجئ هو القلق العباسي من الصقر الروماني
الذي يشعش على الحدود الشمالية للدولة العباسية . . . إذ سيكون
هارون على مقربة منهم و يستطيع قتلهم و درء خطرهم عن الأراضي
العباسية .

و حتى الآن نحتفل نحن أهل الرقة بهارون الرشيد لاختياره إيانا و بلادنا
فلا يخلو شارع في الرقة من ذكر اسمه و لا محل من التسميه باسمه و لا
تفتأ المجالس في الرقة إلا تذكره و لا تخلو الأشعار و لا المولية الشعبية
الرقية من التغني بمجليفة الرقة هارون الرشيد و يبالغ أهل الرقة بمدحه و
إطرائه حتى يظنون فيه الولاية و التقى الكاملين ! . . . كيف لا وقد
أضحت الرقة في عهده أحد منازل الدنيا الأربعة كما قال المؤرخون !

وكذلك جهر الخليفة المأمون بالقول بخلق القرآن في الرقة سنة 218 هـ

حيث كان مقيما بها و أرسل لواليه في العراق إسحاق بن إبراهيم بن

مصعب يأمره أن يقيم امتحانا شفها لموظفي الدولة العباسية وفي

الامتحان الشفهي سؤال واحد فقط وهو خلق القرآن ومن لم يقل

بالإيجاب يُرسل مقيدا إلى الرقة حيث يقيم الخليفة .

وقد تم اعتقال الإمام أحمد بن حنبل وإرساله إلى الرقة لينال جزاءه

بسبب رفضه الإقرار بذلك .

حدوث حمرة في السماء

في سنة 202 هـ / ربيع الآخر / 14² صدم الناس بحمرة في

السماء . .

في الليل . . ظهرت حمرة في السماء أرعبت الناس وبعد ساعات من

ظهورها بدأت بالتلاشي حتى بقي منها عمودان أحمران آخر الليل و

تلاشت كلياً مع شروق الشمس .

راجع الطبري وابن كثير سنة 202 هـ.²

الخليفة المأمون

الخليفة المأمون بذاته كان صدمة للناس فلا يزال يصدم شعبه و يصد منا
نحن على مدى قرون بقرارته الغريب صدورها عن فرد من البيت
العباسي!

والمأمون اسمه عبد الله أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد بن محمد
المهدي بن أبو جعفر المنصور بن محمد الإمام بن علي السجاد³ بن عبد
الله الحبر بن العباس عم النبي .

³ وهو غير علي السجاد زين العابدين العلوي.

وكان المأمون خليفة مهيوبا حذق الكلام فطن ذكي و الأهم من ذلك عالم
وشجاع!

فلم يتسلم الخلافة من هو أكثر منه علما و فقها . . . ولم يكن يرسل
القادة للقتال وهو جالس في العاصمة بل يقاتل عدوه السياسي " بيزنطة
" بنفسه على رأس جيشه!

وقد مات شهيدا غازيا في قتاله للدولة الرومانية على الحدود العباسية
الشمالية .

وقد صدم بعدة قرارات قد تصدم أنت منها أيضا :

أولا : قام بقتل أخيه الأمين (طبعاً من بدأ الحرب هو الأمين وهو رجل

عابث ماجن لا يستحق الاحترام على العكس من أخيه المأمون) و

احتز رأسه أحد قاداته وهو طاهر بن الحسين (الذي احتز رأسه فعليا

هو أحد جنود طاهر و يدعى قريش الدنداني (ويعتبر الأمين المنافس السياسي للمأمون فاندلعت المعركة على الحكم بين الأخوين وكانت حلبتها مدينة بغداد التي دفعت ثمنا بالغاً جراً ويلات هذه الحرب على السلطة التي انتهت بقتل الأمين سنة 198 هـ و تغلب المأمون عليه لتكون بذلك سابقة من سوابق العرب فهي المرة الأولى التي يقتل بها حاكم عربي أخيه من أجل الملك مطبقاً بذلك قاعدة " الملك عقيم " .

ثانياً : عين علي بن موسى الرضا ولياً للعهد بعده ضارباً العداوة السياسية بين عائلته العباسيين و العلويين عرض الحائط !

فلم يكن بني العباس أفضل تعاملًا مع العلويين⁴ حيث ارتكبوا بهم مجازر
أيضًا كمجزرة فخ التي تولاها موسى الهادي كذلك اعتقال هارون
الرشيد لموسى الكاظم حتى مات في سجنه . . .

و هذه العداوة طبيعية سببها التنافس السياسي على الحكم فالعلويين
كانوا يتأسون الأحزاب المعارضة للحكومة العباسية كما كانوا من ذي
قبل يتأسون الأحزاب ويتزعمون الثورات التي تهدف للإطاحة بالحكومة
الأموية و لهذا فإن توضع العلويين دائمًا في الخط المعارض للنظام القائم
عرضهم بشكل مستمر للمراقبة و الأغلال و السجن و الملاحقة الأمنية
بل و المجازر إن قاموا بثورة فعلية

⁴ أقصد بالعلويين آل الإمام علي بن أبي طالب

و الصدمة هنا أن المأمون لم يسلك نهج آبائه الخلفاء العباسيين و ضرب
عباسيته عرض الحائط و انحاز للصف العلوي و ناصرهم على آل بيته
العباسي و وصل حبه و تعظيمه لهم إلى أن أعطى ولاية العهد
للإمام علي الرضا حفيد الإمام الحسين كما لبس اللون الأخضر وهو رمز
العلويين و تخلى عن اللباس الأسود الذي يرمز للعباسيين⁵.
لهذا أعلن العباسيين في بغداد خلعهم للمأمون و رفضوا أن يكون خليفة
عليهم لأنه يريد نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي.
لكن توفي علي الرضا سنة 203هـ! و على الأرجح أن ذلك من تدبير
العباسيين و قد حزن عليه المأمون حزنا شديدا و بكى عليه دموعا
ثقيلة.

5 أما الأبيض فيرمز لبني أمية و الأخضر كان لون راية الإمام علي.

هذا و سار المأمون إلى بغداد لردع التمرد ضده و نجح في ذلك و قد أصبح فعليا الخليفة و أمير المؤمنين و رئيس الدولة العباسية .

و لم يتخلى المأمون عن لبس الأخضر رمز محبته و طاعته للعلويين حتى عام 204 هـ بإشارة طاهر بن الحسين لكي يظن الناس أنه مع عائلته العباسية و لم يعد مواليا للبيت العلوي و ترتاح له صدور البيت العباسي الذين ظلوا ينظرون للمأمون على أنه خائن لهم !

لكن المأمون العباسي لم يستطع إخفاء علويته طويلا فأعلن في سنة 212 هـ صدمة جديدة هي :

ثانيا : أعلن المأمون في 212 هـ تفضيل الإمام علي على الخلفاء الثلاثة
وأمر الخطباء في جميع الولايات العباسية أن يترضوا أولا عن الإمام علي
ثم أبي بكر وعمر وعثمان .

أي أن يقول الخطيب في نهاية الخطبة الثانية (رضي الله عن علي و أبا
بكر وعمر وعثمان . . .)

ثالثا : خلق القرآن . . أصدر المأمون أمرا بالقول بخلق القرآن و كل من
أقر بنقيض ذلك مصيره السجن أو القتل وقد أصدر لوحات و صفحات
بين فيها للناس بالدليل القرآني أن القرآن مخلوق .

رابعا : صدم المصلون في المساجد برسم الخليفة المأمون بالأمر برفع
الصوت بالتكبير بعد الصلوات الخمس .

خامسا : كان يقاتل العدو بنفسه و هذا لم يكد يفعله خليفة حتى من الراشدين .

سادسا : قام بإنشاء دار الحكمة وهي مكتبة ضخمة تضم مئات آلاف الكتب وهو أول خليفة يهتم بالعلم إلى تلك الدرجة بحيث كان يعطي المترجم آلاف الدنانير وهو أعلى راتب في الدولة العباسية و كان يشترط في اتفاقيات السلام مع دول العدو أن تعطيه كتباً من مكتبتها كي يقبل توقيع الاتفاق و قد نَقَبَ في آثار قبرص بحثاً عن الكتب الذي كان جمعها هوساً للمأمون .

سابعا : أصدر أمير المؤمنين المأمون مرسوماً حكومياً يقضي ببناء مرصد فلكي على رؤوس جبال دمشق وهذه سابقة .

وهذا شعر يستعرض فيه الخليفة المأمون عقيدته⁶ :

أصبح ديني الذي أدين به ... ولست منه الغداة معذرا

حب علي بعد النبي ولا ... أشتم صديقا ولا عمرا

ثم ابن عفان في الجنان مع الـ ... أبرار ذلك القتل مصطبرا

لا ولا أشتم الزبير ولا ... طلحة إن قال قائل غدرا

وعائش الأم لست أشتمها ... من يفتريها فنحن منه برا

ويظهر في شعره تفضيله للإمام علي على سائر الصحابة وذلك رغم

عباسيته!

ابن كثير 14 / 222⁶

وكما قال المثل الشعبي " عشنا و شفنا " فقد طال بنا العمر حتى رأينا

خليفة عباسيا يناصر العلويين و يفضل الإمام علي!

و أنا من أشدّ المعجبين بالخليفة عبد الله المأمون و قد علقتُ في جدار

غرفتي لوحة تحمل اسمه مكتوبا بخط الثلث و هو الخليفة العباسي

الوحيد الذي صممتُ له هكذا لوحة تخليدا لاسمه في ذاكرتي فهو باني

التراث العلمي و صانع الحضارة من اللاشيء .

وبعد هذا العرض المثير عن الخليفة المأمون من المؤكد أن الفضول اعتراك
لرؤيته فسأروي الآن فضولك بذكر صفاته الخلقية :

قال الذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء⁷ (قال ابن أبي الدنيا: كان أبيض
ربعة، حسن الوجه، تعلوه صفرة، قد وخطه الشيب، وكان طويل
اللحية، أعين، ضيق الجبين، على خده شامة)

و نستعرض الآن بعض أقواله التي تدل على مدى فطنته :

قرأتُ في كتاب " تاريخ بغداد " ⁸ أنه قال : (كان معاوية بعمره، وعبد
الملك بحجاجه، وأنا بنفسي)

بمعنى أن قوة معاوية بعمره وبن العاص وقوة عبد الملك بالحجاج بن
يوسف الثقفي أما أنا فقوتي بنفسي وقد صدق رحمه الله تعالى .

راجع سير أعلام النبلاء ط الرسالة 10 / 274 ⁷

أ [11: 436] - (3375) ⁸

ومن أقواله الأخر :

- لو عرف الناس حبي للعفو، لتقربوا إلي بالجرائم!

وقد صدق رحمه الله تعالى فقد يعشق العفو والصفح حتى أنه عفا عن

ألد أعدائه عمه إبراهيم بن المهدي الذي خلعه بعد مبايعة علي الرضا .

ولو كان هو الذي قبض على الأمين أخيه لعفا عنه لكن أمسك به قاداته

فقتلوه دون أن يراجعوا المأمون في أمره.

لهذا أنا أرفض فكرة أن المأمون قتل أخيه و العلم عند الله وحده.

وبرغم جلوسه في منصب الخلافة إلا أنه كان حلو الكلام فأذكر أنني قرأت

له موقفا جميلا سأورده الآن من كتاب سير أعلام النبلاء :

قال الذهبي في ترجمة المأمون :

((مر ملاح، فقال: أتظنون أن هذا ينبل عندي وقد قتل أخاه الأمين؟

فسمعها المأمون، فتبسم، وقال: ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد

الجليل؟!))

فهذا الموقف اللطيف كفيـل بأن يجعلك تدرك مدى حلم المأمون عليه

رحمة الله .

ولو شئتُ أن أحدثك عن مدى حلمه لذكرتك بقول يحيى بن الأكرم

فيه : كان المأمون يحلم حتى يغيضنا! .

أما قبره رحمه الله فهو موجود الآن في تركيا حيث توفي ، أرجو من الله

أن يكرمني وإياكم بزيارته يوما .

رجل يقتل النساء فقط !

في سنة 315 هـ / جمادى الأولى . . . في أيام الخليفة المقتدر

العباسي :

قبض جهاز الأمن والشرطة العباسية على رجل ادعى أنه يعرف
بالعطف و التنجيم فاغترت النساء بذلك لحبهن التنجيم و قراءة الفنجان
و غيره فذهبن إليه فإذا اختلى بامرأة قام بإغلاق فمها و خنقها حتى
تموت فيحفر تحت سجادة غرفته و يدفنها فإذا امتلأت غرفة من بيته
غير الغرفة لأخرى و هكذا حتى قتل سبع عشرة امرأة بالتمام و الكمال
وعندئذ قبضت عليه الشرطة العباسية و أخرجت الجثث و سلمتها
لذويها و أرسلته للمحكمة حتى ينال جزاءه العادل فأصدرت المحكمة
بجقه حكماً مفاده الجلد ألف سوط كاملة ثم الصلب حتى الموت أمام
الناس وهكذا حدث بالفعل قبح الله ذكره!

أهل سلمية في ريف حماة هم مؤسسو الدولة الفاطمية

لا تتعجب أخي السوري عندما ترى النزعة الانفصالية في نفوس أهل

سلمية حينما يابون نسب أنفسهم إلى حماة فهؤلاء من ذي قبل قاموا

بتأسيس دولة مجد ذاتها حكمت ما يزيد على ثلاثمائة عام!

كان المهدي وهو عبيد الله بن ميمون القداح يعمل في دكان الصباغة في

مدينة سلمية حيث يقيم هناك قبل أن يؤسس الحزب الإسماعيلي برفقة

الإسماعيليين السلميين ثم انطلقوا للدعوة في المغرب الأقصى قبل أن

تكتشفهم الاستخبارات العباسية و نجحوا السلميين في تأسيس الدولة

الفاطمية الشيعية الإسماعيلية في المغرب العربي و ظلت تمتد حتى

سيطرت على مصر و بنت القاهرة و الجامع الأزهر⁹

⁹ فالجامع الأزهر بناه الفاطميون قبل 360 هـ و كان مسجداً للشيعية الإسماعيلية قبل أن يسننه صلاح الدين الأيوبي حينما دخل مصر و قضى على الدولة الفاطمية.

و دخلت بلاد الشام كذلك و امتدت الدولة التي بناها أهل سلمية من

نهر الفرات بقسمه السوري حتى ضفاف المحيط الأطلسي!

فلك أن تتعجب الآن . .

كيف قصف أبو العلاء المعري جبهة الخليفة ؟!

يقول العامة كثيرا " قصف جبهة فلان " تعبيرا عن مدى زهقه بالرد القوي عليه . . .

فمن أشهر قصف جبهات التاريخ الإسلامي أن الخليفة كان يكره المتنبى ويشتمه أما الشاعر أبو العلاء المعري كان يحبه و يمدحه!

و حدث أن أبو العلاء جاء ضمن وفد زيارة إلى الخليفة العباسي و قد شاءت الصدفة أن يذكر المتنبى في المجلس فذمه أمير المؤمنين و نال منه و لما سمع ذلك أبو العلاء قال معاتبا : لو لم يكن للمتنبى إلا قصيدته التي أولها : لك يا منازل في القلوب منازل ، لكفاه ذلك !

فصمت الخليفة لبرهة ثم غضب فجأة و صاح : أخرجوا عني هذا الكلب !

و نادى حرسه لكي يطردوا أبي العلاء مذلولاً مجروراً من رجليه في
وسط ذهول وتعجب من الحاضرين! فأبو العلاء لم يقل ما يستدعي هذا
كله!

فشرح الخليفة للجالسين ما كان يقصده أبو العلاء فقال: أتدرون ما أراد
هذا الكلب من هذه القصيدة، وذكره لها؟

فقالوا متعجبين: ماذا؟!

فقال لهم الخليفة:

كان يريد بها البيت الذي يقول فيه:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الدليل على أنني كاملٌ

فانظر إلى ذكاء أبي العلاء و سلط عينيك أيضا على ذكاء الخليفة كذلك

الذي تنبه للغم الذي زرعه له أبو العلاء!!!

وهذه القصة منقولة من كتاب البداية والنهاية من ترجمة أبو العلاء المعري

وفيات سنة 449 هـ .

أيام مأساوية على حلب¹⁰

جرت سنة 351 هـ إلى مدينة حلب مأساة تقشعر لها الأبدان و تشيب لها الصبيان فلا حول ولا قوة إلا بالله . . .

ففيها كانت الدولة العباسية مقطّعة إرباً إرباً و تعيش ضعفا صريحا و للأسف كان أول من دفع ثمن هذا الضعف في الدولة هم أهالي حلب بصفتهم المواجه المباشر لبيزنطة ، الدولة التي تحدّ الدولة العباسية من الشمال و من ألد أعدائها التاريخيين!

واستغلت بيزنطة¹¹ هذا الضعف للانتقضاض على بغداد^{II} فسار ملك الروم الدمستق على رأس جحفل جرار و ركب لمواجهته سيف الدولة الحمداني الوالي على حلب برسم الخليفة العباسي .

¹⁰ راجع كتاب ابن الأثير - الكامل في التاريخ المجلد السابع / 273 ص .

عندما تذكر أسماء العواصم فالمقصود الدول . أي أن بيزنطة هاجمت العباسية.¹¹

فاندلعت المواجهة بين الحمدانيين¹² و الرومان ولم تستمر طويلا حتى
حسمها الرومان لصالحهم و هزموا سيف الدولة هزيمة ساحقة و الذي
انحسب فارا تاركا حلب مفتوحة أبوابها للجيش البيزنطي اللاتيني .

استولى الجيش المتقدم على قصر سيف الدولة المبني خارج حلب و جلس
الدمستق على كرسي سيف الدولة وكان النجاح الأول لبيزنطة أمام
سلسلة من الهزائم المتوالية من سيف الدولة الحمداني وهو سيف الدولة
العباسية المحامي عن أبواب بلاد الشام!

ثم تقدم الجيش اللاتيني و حاصر السور المطوق لمدينة حلب¹³ فتسلح
الحلبيين و قرروا حماية مدينتهم و الدفاع عنها باعتبارها السبيل الوحيد
لحماية أموالهم و أعراضهم من النهب البيزنطي .

¹² يعود أصل الحمدانيين إلى قبيلة تغلب العربية وهي قبيلة الزير سالم و كليب .

¹³ جميع المدن في القديم كان تحاط بسور يطوقها كلها وضمنه أبواب تعتبر المدخل الوحيد إلى ومن المدينة.

استطاعت فرق الجيش البيزنطي كسر السور وإحداث فتحة عريضة فيه
لاختراقه و دخول المدينة فتجمع أهالي حلب عندها و واجهوا الجنود
الرومان و استطاعوا حماية الثقب حتى الليل الذي حمل البيزنطيين على
الانسحاب حتى الفجر . . .

فاستغل أهالي حلب هذه الفرصة حتى يسدّوا الثقب فتساعد الرجال و
النساء و الأطفال حتى سدّوا هذا الثقب قبل عودة الجيش البيزنطي .
ثم تحقق المثل القائل " حاميها حراميها " فالذي كانوا بالأمس يساعدون
أهل حلب في حماية السور وهم أفراد مخفر (كراكون) الشرطة العباسية
في حلب ، لم تشرق الشمس حتى تسلل أفراد المخفر إلى عمق المدينة و
سرقوا منازل الناس الذين يعكفون على حماية السور !!!

فلما بلغ الناس ذلك تركوا السور و عادوا إلى منازلهم للإمساك بأفراد الشرطة اللصوص فاستغلت بيزنطة هذه الفرصة الثمينة و هاجمت السور هجمة ارتدادية قوية مباغطة استطاعت اختراق السور عبر الصعود عليه حينما فرغت أبراج المراقبة من القناصين . .

و هكذا عبر الجيش الروماني السور و فتحوا الباب للبقية فدخلت فيالق الجيش البيزنطي حلب أفواجا أفواجا و أمر الملك الرومي بقتل أي حليي مهما كان طفلا أم شيخا أم رجلا أما النساء الحلييات فالفجور بهن سواء أكانت طفلة أم شابة ، عازبة أم متزوجة ! ثم سوقهن مهانات إلى بيزنطة و ذلك كله انتقاما مما فعل سيف الدولة بالشعب البيزنطي .

فحسبنا الله و نعم الوكيل !

له الأمر من قبل و من بعد !

دخل الجنود البيزنطيين السجن الحلبي المركزي فأطلقوا من فيه و حرروا
الأسارى البيزنطيين و كانوا ألف و أربعمائة¹⁴
ولم يكتفوا بتحريرهم فقط بل سلموا السيوف إليهم و تركوهم يفرغوا حنقهم
و حقدهم بالحلبيين ففعلوا بهم ما ينتصب له شعر الرأس فزعا !

لعل هذا الرقم الكبير أوحى لك كم كان سيف الدولة يغزو بيزنطة!¹⁴

فساقوا ما يقارب بضعة عشر ألفا ما بين صبي و صبية و من النساء
الشابات ما لا تحصيه العين عددا ! ومن الرجال ألفين كلهم أسارى يقودونهم
إلى الجمهورية الرومانية البيزنطية تحديدا إلى القسطنطينية¹⁵ .

أما المساجد الحلبية فهدموها و حرقوها و حولوها إلى اسطبل لخيولهم . . .
و لم يكد يخلو شارع حلي عريض أم ضيق من الجثث التي تفنن قاتلها في
طريقة قتلها .

و داسوا على المصاحف و أحرقوها حتى عمّ الدخان و الخراب حلب
كلها وأصبح يتباكى كل من مرّ بحلب عليها و تعتصر قلبه الحسرة و يسترق
المشهد المؤثر من عينه دمعات و دمعات . . .

¹⁵ هي إسطنبول اليوم.

أما قلعة حلب الشهيرة فلم يكن يريد أن يحاصرها الملك الروماني الدمستق
واقترح على قادته الانسحاب من حلب خوفاً من أن سيف الدولة يحضر
كمينا لهم!

فأصر ابن اخت¹⁶ الملك الروماني على محاصرة قلعة حلب فأذن له و
انطلق بفيلقه وأطبق حصاراً خانقاً على قلعة حلب التي كان يحمي بها
بعض أهالي حلب بالإضافة إلى آخر أفراد الجيش العباسي المتبقين هناك.
وكان موقعها العالي على تلة والخندق من حولها يجعل من اقتحامها مهمة
صعبة جداً وحماتها سهلة جداً .

وبسبب ذلك استطاعت الحامية العباسية في القلعة قنص ابن اخت الملك
مباشرة فسقط على الأرض قتيلاً!

¹⁶ وكان قائد فيلق في الجيش البيزنطي.

ففجع الملك الروماني بابن اخته و غضب جدا فأتى بالآلفي رجل
المأسورين و قتلهم عن آخرهم و تفنن في قتلهم عليه من الله ما يستحق!

ثم ازدادت خشيته من كره الجيش العباسي بقيادة سيف الدولة فقرر ترك
حلب و الانسحاب من عمق الأراضي العباسية إلى حدود بلاده دونما أن
يستطيع اقتحام القلعة .

فترك حلب خلفه جثة هامة تخشع لها الأبصار . . تنه رائحتها بسبب
الجثث ، مهدمة السور محروقة البيوت و الأسواق مخربة المساجد محروقة
المصاحف خالية من كلمة أنثى إلا من اعتصمت بالقلعة فإننا لله و إنا إليه
راجعون رحم الله جميع شهداء هذه المأساة العظيمة و لا بأس
من قراءة الفاتحة على روحهم الآن . .

و يجب أخذ العلم أن سيف الدولة عاقب فيما بعد الشرطة التي تسببت

بما حدث!

هل تعلم متى نهاية العالم؟!

ذكر العماد الكاتب المشهور أن المنجمين قالوا أن نهاية العالم ستكون في عام 582 هـ وذلك بعاصفة كبيرة ستهلك كل الناس على وجه الأرض!

و شرع الناس الذين صدقوهم في بناء سراديب و خنادق و أنفاق

للاحتماء بها عند حلول نهاية العالم!

و تمادى المنجمون عندما حددوا الليلة أيضا فانتظرها الناس بمخشوع و خوف و ترقب لكن الطبيعة خذلتهم فكانت تلك الليلة هادئة جدا ليس

فيها نسمة ريح واحدة وها قد بلغنا 1445 هـ ولم تأتي تلك الريح التي

ربما أتاهت طريقها و خرجت من كوكب الأرض كليا لتمنحه بعض

السنين زيادة!

أخذتني هذه الطرفة التاريخية التي قرأتها في البداية و النهاية لابن كثير
على فلم صدر في عام 2009 م مفاده أن أسطورة أمريكية تقول أن
نهاية العالم ستكون في عام 2012 م عبر طوفان ماء يأتي من السماء
كطوفان نوح و قد لاقى الفيلم شهرة عالمية و جمع حوله جمهورا واسعا
و أخذ شعبنا العربي الاستهلاكي كعادته على استهلاك هذه الفكرة
الليبرالية و الترويج لها حتى صدقوا أن عام 2012 م هو فعلا نهاية
العالم!

وها نحن في 2023 م و لم يغرق العالم بعد . . فتبادر إلى ذهني التساؤل
نفسه، هل الطوفان الذي وعدنا الأمريكيين به و المقرر قدومه في
2012 م من السماء قد ضيَّع طريقه أيضا فذهب إلى كوكب آخر
و أغرقه و نجا منه كوكبنا بأعجوبة!
أتساءل و يتساءل معي القارئ الكريم . . .

فهذا دليل على أن السيارات و الهواتف و الأنترنت و مصطلح " القرية

الواحدة" لم يجعل منا أناسا يختلفون كثيرا عن أناس سنة 582 هـ .

أي قبل ما يقارب ألف قرن من الآن . . .

وفي ختام هذا العنوان أذكر بالآية القرآنية من سورة الأعراف:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا
يُجْلِيهَا لَوْ قَتَيْتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ
اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

ما قصة التاريخ الإسلامي مع الرقم ستة؟!

هذا التساؤل لم أطرحه أنا بل طرحه المؤرخ الشهير المحب إلى قلبي ابن الجوزي رحمه الله تعالى و أكرمني بزيارة قبره .

ولن أتكلم انا في هذه المقالة و سادع مؤرخي الحبيب يقصها لك بلسانه .

قال ابن الجوزي في كتابه المنتظم (17 / 332) :

الناس يقولون: كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لا بد أن يخلع قلتُ: فتأملت ذلك فرأيتُه عجبا ؛ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن فخلع، ثم معاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ثم عبد الله بن الزبير فخلع وقتل، ثم الوليد وسليمان ثم عمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ثم الوليد بن يزيد

فخلع وقتل، ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي ثم
أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين فخلع وقتل، ثم
المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين فخلع وقتل، ثم
المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتمد والمكتفي ثم المقتدر فخلع ثم أعيد
فقتل، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكتفي والمطيع ثم الطائع فخلع، ثم
القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد ثم الراشد فخلع وقتل.
انتهى النقل.

والآن أعود وأطرح لك التساؤل نفسه " ما قصة التاريخ الإسلامي مع
الرقم ستة ؟! "

اللهجات العامية قديمة!

إذا كنت تظن أن اللهجة العامية قد ظهرت حديثاً وأن القدماء كانوا يتكلمون بالفصحى فانظر إلى هذا الحوار الفصيح بين قوسين الذي حكاه ابن كثير¹⁷ نقلاً عن سبط ابن الجوزي في كتاب مرآة الزمان ضمن وفيات سنة 623 هـ :

.جاء خبر بموت أمي باللاذقية أنها ماتت، وقال لي بعضهم: إنها لم تمت

قالت: فمررت به وهو قاعد عند المقابر، فوقفت عنده فرفع رأسه،

وقال لي: ماتت ماتت، أيش تعملين؟ فكان كما قال.

¹⁷ 139 / 17

يبدوا أن الحوار الذي دار تقريبا في نهايات 500 هـ و بدايات 600 هـ

فصيحا للغاية!

واحد وعشرين يوما و الكعبة عارية بلا كسوتها !

قرأتُ أن في سنة 644 هـ / ربيع الآخر / 18 يوم الثلاثاء

هبّت عاصفة هوائية شديدة فألقت عن الكعبة المشرفة ستارها

الأسود العباسي¹⁸ وكانت كسوتها مهترئة بسبب الضائقة المالية

الشديدة للدولة العباسية و عجز خادم الحرمين الشريفين الخليفة العباسي

عن تدير حتى ثمن كسوة لها !

وكان شيخ الحرم المكي آنذاك يدعى منصور بن منعة فأرسل إليه والي

اليمن عمر بن رسول يستأذنه أن تكون كسوة الكعبة على حسابه فقابل

طلبه بالرفض لأن الأصول تقول أن خادم الحرمين الخليفة العباسي هو من

يتكفل بكسوتها و على حسابه الشخصي .

الكعبة في عهد الأمويين كانت بيضاء كرمز للأموية أما بني العباس فكسوها بالأسود ولا تزال حتى اليوم ترتدي الأسود من عهد¹⁸ العباسيين رمزا لطاعة المسلمين للخليفة العباسي.

فاضطر الخليفة العباسي ، و الذي وضع في موقف حرج و بوسط ضائقته المالية أن يقترض ثلاثمائة دينار عباسي و يشتري بها قطن سادة و يصبغها بالأسود اللون السياسي العباسي و يرسلها إلى إمام الحرم المكي كي يكسوا الكعبة .

و ذلك بعد أحد و عشرين يوما و الكعبة عارية تماما علما أن الناس عندما رأوا الكعبة قد طار عنها السواد الذي هو رمز للعباسيين كما ذكرت قالوا : أن الدولة العباسية ستقرض عما قريب !

لأن الكعبة تمثل العالم الإسلامي و السواد يمثل بني العباس و الريح التي اقتعلت السواد إشارة إلى من يقدم و يقضي على الدولة العباسية و إنهاء سيطرتها على العالم الإسلامي و قد تحقق ذلك فعلا بعد 12 عاما فقط حيث قضت الجيوش المغولية على الدولة العباسية .

وليته فعل!

وهذه طرفة جديدة يحكيها لنا المؤرخ الصديق لوقتي ابن كثير في مجلده

17 / ص 400 :

((وقد عزموا على الدخول إلى الديار المصرية، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر، **وليته فعل** . . . فتخيل من ذلك وخاف أن ينتصر عليه، فكر راجعا إلى ناحية تيه بني إسرائيل، ودخل عامة من كان معه إلى الديار المصرية، وأكرم المظفر الملك صاحب حماة، ووعدته ببلده، ووفى له بذلك، ولم يدخل الناصر **وليته فعل**، فإنه كان أيسر عليه مما صار إليه، ولكنه خاف منهم لعداوة ما بينه وبينهم، فعدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها، **وليته استمر فيها**، ولكنه قلق، فركب نحو البرية - **وليته ذهب فيها** - واستجار ببعض أمراء الأعراب، فقصدته

التار، وأتلفوا تلك الديار ونهبوا ما هنالك من الأموال، وقتلوا الكبار
والصغار، وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي، فقتلوا منهم خلقا
كثيرا...))

الآن لا أريد أن أقص عليك هذه القصة لكن تستطيع أخذ عبرة سريعة
كيف أن التلبك و التوتر يحمل الإنسان على ارتكاب أخطاء متسلسلة
متوالية و يستنفذ فرصه في النجاة ، فلا تجعل التوتر و القلق و الخوف
ينالون منك لئلا يحصل لك كما حصل للملك ناصر الدين الأيوبي (وهو
غير صلاح الدين الأيوبي) .

أول كلية للطب في التاريخ العربي بنتها الحكومة العباسية!

قد يكون العنوان ظالما للإنجاز مجد ذاته . . . لأن الذي ابتناه الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة 631 هـ لم يكن مجرد كلية فقط بل جامعة بأسرها تضم عدة كليات!

و الجامعة التي بنتها الحكومة العباسية برعاية قائدها الرئيس المستنصر بالله يعد إنجازا حضاريا كبيرا و معلم ضخم من معالم التراث العربي و قد كان الخليفة هو من يباشر مهمة وزير التعليم العالي بالإشراف العلمي على هذه المؤسسة الجديدة التي قدمتها الدولة العباسية كهدية إلى التاريخ الإسلامي الذي احتفل بها و تغنى و افتخر فخرا عظيما .

ولو أشاء أن أعدد لك أقسامها فسأقول أن فيها أربع كليات لتدريس
الفقه الإسلامي حيث كل كلية تختص بتدريس فقه مذهب معين يتناوب
في كل كلية فقهية اثنان و ستون فقهيا و أربعة معيدين و مدرس واحد
لكل مذهب و أستاذ للحديث الشريف و أستاذان في قراءة القرآن
الكريم ، هذا بالنسبة لأقسام الشريعة كما تعين ناظر للجامعة
ككل الذي هو بمثابة رئيس الجامعة .

و ضمت كلية أخرى هي كلية الطب و حددت الوزارة أن كل دفعة في
هذه الكلية تضم عشرة طلاب فقط و يحق لهم ممارسة الاختصاص في
المشافي العباسية حصرا بعد التخرج من هذه الكلية التابعة للجامعة
المستنصر علما أن الكلية تحوي معيدا واحدا يسمى بـ " شيخ الأطباء "
الذي هو بمثابة عميد و دكتور و أستاذ معا .

وقد بنى سكتنا جامعيًا مجاورًا للجامعة كي يقيم به طلاب الخارج.

وخصص وزير التعليم العالي الذي هو الخليفة نفسه راتبًا معينًا لكل

الطلاب تكفيهم لئلا يضطروا للعمل والاشتغال بالدراسة فقط.

كما خصص بالإضافة للراتب طعامًا من أفرج أنواع الأطعمة للطلاب كما

خصص لهم حلويات تهدي إليهم يوميًا.

وقد افتتحها الخليفة والمسؤولين في الحكومة والوزراء يوم الخميس

5/رجب/631هـ وتم إلقاء أول درس بها وحضر هذا الدرس

الخليفة بنفسه مع الأمراء والوزراء وقضاة الدولة وشاعر الدولة.

وقد عملت مأدبة طعام كبيرة احتفالًا بمناسبة افتتاحها واحتفل الشعب

العباسي في سائر أنحاء الدولة العباسية بافتتاح أول جامعة في بلادهم.

ولابد من الإشارة أن ابن المؤرخ المذكور سابقا ابن الجوزي كان أستاذا
دكتورا في هذه الجامعة .

أما مهندس هذه التحفة المعمارية فهو المهندس المعماري الشهير محمد
بن العلقمي الذي أصبح مستشار للخليفة فيما بعد وليس للخليفة
هذا إنما للمستعصم .

ولابد من الإشارة أيضا أن زوال الدولة العباسية كانت على يد هذا
المهندس المعماري !

أما الكيفية فمن غير المناسب ذكرها ها هنا .

ماذا حدث للنجوم في سماء سنة 599 هـ

قرأتُ في كتاب مرآة الزمان للمؤرخ المشهور بالسبط لكونه سبط المؤرخ الكبير ابن الجوزي في حوادث سنة خمسمائة و تسع و تسعين أن :
أنه يوم السبت في سلخ محرم هاجت النجوم في السماء و ماجت شرقا و غربا و في كل الاتجاهات و تطايرت كالجراد المنتشر حتى أفرع مشهدها الناس و ارتعبوا له لأن هذا المشاهد لا يكون غير في يوم القيامة .

و هذه الحادثة في هذه السنة تكرر لأخرى حدثت في عام 241 هـ أيضا ذكرها المؤرخ ابن جرير الطبري في كتابه الشهير قائلًا : وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد و تناثرت .

فما الذي حدث للسماء حينها ؟! و ما التغير الفضائي الذي نقله لنا

التاريخ ؟!

هل اكتشف العباسيون النفط في سنة ٥٣٣ هـ ؟ !

ذكر صاحب الكامل في التاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٥٣٣ هـ ما يلي :

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جنزة ، مات بسببها مائتا ألف و ثلاثون ألفا ، و صار مكانها ماء أسود ، عشرة فراسخ في مثلها و زلزال أهل حلب في ليلة واحدة . . . ثمانين مرة .

فما هو ذلك الماء الأسود الذي خرج فجأة ؟ !

شعانين أم نيروز؟! و ما قصة العيد الإبراهيمي؟

ومن أغرب الحوادث التي قرأتها في التاريخ ما حدث في تاريخ 20 /
ذي القعدة / ٢٣٩ هـ . . يوم الأحد .

حيث اتفق في يوم واحد أنه عيد الشعانين للمسيحين و عيد النيروز
للمجوس الفارسيين و احتفلوا به معا و دقت فيه أجراس الكنائس و
أحرقت المجوس نيرانهم معا في يوم واحد وهذا من أعاجب ما حدث
في الماضي!

ولكن الأكثر عجبا من هذا ما حدث في عام 244 هـ و الذي يخلو
لي أن أسميه " العيد الإبراهيمي "

حيث اتفق في يوم واحد أن كان عيد الأضحى للمسلمين و الشعانين
للمسيحين و الفطر لليهود !

وتزامنت تكبيرات المساجد مع أجراس الكنيسة مع احتفالات
الكنيست .

و خطب في هذا اليوم الشيخ المسلم و القس المسيحي و الحاخام
اليهودي .

و عايد المسلمين و المسيحين و اليهود و لم يبق أحد في بيته أبدا و
يقول هذا ليس عيدي !

فما أعجب ذلك اليوم ولكم أتمنى أن يتكرر مثله في زمننا

مطر في آب

أذكر السنة التي حدث بها اكتشاف النفط العباسي سنة 533 هـ

!؟

هطل بها في آب مطر شديد جدا!

قصة زوجة و زوجها سنة ٢٨٦ هـ تستحق التخليد

ومن الحوادث الجميلة التي حدثت في الماضي ما قرأته عن امرأة رأت
في سترها أعلى ثمن . . .

هذه المرأة تستحق أن تعظم و تروى قصتها لبنات جيلنا و التي بدأ
يتجه بعضهن نحو الخلاعة و التعري . .

وفي وسط هذه الفتن كلها أوجه تحيتي إلى كل فتاة لا تزال محتشمة في
ملبسها ، مستترة بمفاتها و أقول لها أنك الجوهرة النادرة في وسط
قمامة صدئة .

و الآن نستعرض هذه الكائنة في سنة ٢٨٦ هـ تقلا عن كتاب المنتظم
لابن الجوزي .

ومحصلتها أن في سنة ٢٨٦ هـ قدمت امرأة إلى المحكمة في ولاية الري و
تقدمت بشكوى على زوجها بصداقها ٥٠٠ دينار ، فجاء الزوج
للمحكمة و حضر الجلسة و أنكر هذا المبلغ و اتهمها أنها تفتري عليه
بهذا المبلغ الضخم . . .

لكن جاءت بيّنة ما و شهدت لصالح الزوجة ، فقال القضاة للزوج :
نريد أن تسفر النقاب عن وجهها لتأكد أهى الزوجة أم أخرى تتحل
شخصيتها !

فلما اقتربوا من الزوجة يريدون خلع النقاب عنها ، أخذت الزوج الغيرة
على زوجته فصاح محتدما : لا تفعلوا ، هي صادقة فيما تدعيه !

قال ابن الجوزي : فأقرّ بما ادّعت ، ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها .

فقالَت المرأةُ معجبةً بزوجهَا ومحافظةً عليها رغم المبلغ الطائل : وإذ قد أراد ذلك ، فهو في حلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة .

فسامحته فيه لأنه أعطاهَا ما هو أغلى من الـ ٥٠٠ دينار وهو سترها و محافظةً عليها ولك أن تشاهد كيف تقدر هذه المرأة نفسها وتأبى أن يكشف عليها من لا يحلُّ لها !

رحمها الله تعالى ورحم زوجها . . آمين .

انفجار كوكب و سماع صوته المرعب

حدث في شهر ذي القعدة سنة ٣٠٧ هـ أن انقض كوكب عظيم غالب الضوء و تقطع ثلاث قطع و سماع بعد انقضاؤه صوت مرعب شديد جعل منه الناس فحسبوه الناس رعدا فلما خرجوا فإذا السماء صافية ولا يوجد أي غيم.

فهذه ظاهرة فضائية أخرى تستحق التأمل . . . فسبحان خالق الكون . . سبحانه و جلّ في علاه

سنة الملوك

لابد من الإشارة أولاً أن هذه التسمية لي ووضعتها أثناء قراءتي

لحوادث سنة ٣٥٦ هـ

و سنة الملوك هي سنة ٣٥٦ هـ و سبب إطلاقي عليها هذا الاسم هو

هلاك ستة ملوك فيها دفعة واحدة!

وهذا من النادر حدوثه في التاريخ لكنه حدث فعلا و لم تقاجني سنة

أخرى بحجم هذه السنة إلا سنة ٤٨٧ هـ حيث توفي بها خليفتان معا

وهذا من أندر النواذر حيث توفي الخليفة المقتدي العباسي متزامنا مع

وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله¹⁹ التي حصلت في عهده المجاعة
المستنصرية الشهيرة .

أما الملوك التي وردت قبورها في هذه السنة فقط فهم :

١- كافور الإخشيدي العبد الذي أصبح ملكا .

٢- معز الدولة بن بويه الديلمي

٣- سيف الدولة الحمداني

٤- الحسن بن الفيرزان

٥- الملك الكبير وشمكير .

6- محمد بن إلياس ملك كرمان .

هذا غير المستنصر العباسي باني الجامعة العباسية.¹⁹

و سنذكر الآن تفصيلا بسيطا عن حياة بعضهم و نبدأ بـ :

أولا - معز الدولة بن بويه الديلمي :

و سبب بدئي بمعز الدولة هو اختياري الأقرب إلى مركز الخلافة في بغداد ، و قد أحببتُ لو أفردتُ مقالة كاملة للحديث عن بني بويه لكن هذا الموضوع لا ينسجم مع موضوعات الكتاب لهذا سأتحدث عنهم هنا قليلا .

قبل أن نتحدث عن بني بويه، نطرح سؤالاً مفاده من هو بويه نفسه؟!!

نجيب فنقول أن اسمه بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي ، وهو صياد

فقير مشرد ينتمي لشعب من شعوب الفرس يدعون الديلم (و لهذا

قلنا الديلمي) بجوار بحر قزوين ، يعيش هو وأولاده على صيد

السّمك و الاحتطاب و له ثلاثة أولاد فقط هم : علي و حسن و أحمد و العائلة مسلمة شيعية الطائفة .

و كان يملك تلك النواحي من بلاد فارس و الي يدعى بمرداويج وهو و الي عباسي يحكم برسم الدولة العباسية .

و شاءت الصدفة أن يرى الوالي العباسي قدراتهم القتالية العالية و يعجب بذكائهم فاقترح على ابن بويه الأكبر وهو علي أن يصبح نائباً للوالي على إقليم الكرج (تدرج السلطة العباسية من رأس السلطة وهو الخليفة ثم علي كل إقليم كبير و الي و بكل مدينة من مدن هذا الإقليم عمدة يدعى نائب الوالي)

رحّب علي بن بويه بهذا العرض و أصبح نائباً على إقليم الكرج و تلقب بـ " عماد الدولة "

بعد أن قويت شوكة عماد الدولة علي بفعل طموحه السياسي و
رغبته بتوسيع ملكه و نجاحه في استمالة الناس بحسن تديره و كرمه
وسخاءه على شعبه، بنى جيشا قويا خاصا به زحف به للاستيلاء
على فارس كلها و انتزاعها من مرداويج الذي عينه بنفسه .
فوجد مرداويج نفسه في وسط ورطة كبيرة حينما صنع وحشا لم يعد
قادرا على التحكم به فجرد حملة عسكرية جرارة لقتاله .
و بعد عدة وقعات و عدة صولات و جولات انتصر عماد الدولة
البويهبي على رئيسه مرداويج ثم انتزع منه الولاية و أصبح هو والي
فارس لكن عماد الدولة الذي يتصف بالحكمة و النظرة البعيدة لم يقدم
على قتل مرداويج بعد أن تمكن منه بل استماله لصفه فأعطاه إقطاع
صغير مقابل الطاعة و الإذعان له .

و بعد أن أضحي عماد الدولة البويهى الكفة الضاربة في بلاد فارس
اتصل بالعاصمة العباسية بغداد و أراد أن يستخرج من بغداد تقليدا
رسميا له بولاية خراسان و فارس .

لكن الفرع تلبس الدولة العباسية من سيطرة أمير من المسلمين الشيعة
على نواحي واسعة من المشرق العباسي وذلك لأن إخوتنا المسلمين
الشيعة يعتقدون أن الخلافة تكون للعلويين فقط و لا تجوز للعباسيين مما
جعل مركز الخلافة يقلق كثيرا من هذا التطور السريع !

فأرسلت بغداد اعترافا حذرا لعماد الدولة هدفه درء خطره اللحظي
فقط ثم سارعت الدولة العباسية للاتقضاض على عماد الدولة بوقعة
أرجان حيث اصطدم الجيشان العباسي و البويهى .

لكن فيالق البويهيين سحقت الجيش العباسي وألحقت به هزيمة مدوية
فانتصر عماد الدولة البويهي لكنه كان ذكيا كما قلنا فلم يرد أن يحرص
الخليفة ضده فأعاد الاتصال ببغداد مجددا وأعرب للخليفة العباسي
عن تفهمه لمخاوف السلطة العباسية من عقيدته كما أكد مجددا على
طاعته له وأن عماد الدولة مجرد عبد بمحضر جلالة أمير المؤمنين
العباسي فأعاد الخليفة منحه التقليد بولاية فارس ريثما يجد له حلا
وبهذا نجد أن الخليفة العباسي إنما يحاول تهدئة ريثما يجد له حلا
عسكريا .

وحدث كذلك أن قُتل مرداويج فسارع عماد الدولة للاستيلاء على
البلاد التي كانت له وضمها لدولته الحديثة .

وأخذ عماد الدولة أخويه حسن و أحمد و أعطاهما جيوشا كاملة و
أخذ يرسل كل منهما بجهة .

يُمننا منهما أحمد الذي تلقب بـ " معز الدولة " و الذي أرسله أخوه
عماد الدولة على رأس قوة عسكرية استولت على مدينة كرمان التي
اتخذها معز الدولة قاعدة لغزو إقليم الأهواز الواقع غربها .

وبالفعل زحفت جنود معز الدولة إلى الأهواز و أحكمت السيطرة
على سلسلة جبال زاغروس و أوضحت الرايات البويهية ترفرف فوق
جبال زاغروس المتاخمة للعراق !

ذُعت الحكومة العباسية ذعرا شديدا من تواجد البويهيين على هذا
القرب من بغداد فانتفضت الدولة العباسية للدفاع عن العراق أمام المد
البويهي نحوها فأرسلت القائد بحكم على رأس جحفل جرار وقوة

عسكرية ضخمة لقتال البويهيين و طردهم عن حدود العراق فالتقى
بهم في الأهواز و أصبح التنافس يدور حول الأهواز بين الجيش
الحكومي العباسي وبين جيش والي فارس المتمرد على سلطته العليا !
وبعد كر وفر ونصر وهزيمة ووسط تقدم البويهيين و تراجع الجيش
الحكومي رجحت كفة الصراع لصالح البويهيين و رفعوا راياتهم فوق
الأهواز مجددا و عندئذ جلس معز الدولة في الأهواز و أخذ يراقب
الوضع السياسي في عاصمة الخلافة بغداد و ينتظر بفارغ الصبر الفرصة
المؤاتية للانتفاض على فريسته .

كانت بغداد في تلك اللحظات تعيش وضعا سياسيا مزريا وترقد في
أعماق فوضى سياسية عارمة وسط تصاعد الصراع بين أقطاب
وأحزاب الدولة فكان الأثر الأبرز لهذا الصراع المحتم أن الخليفة يكون
دائما الضحية و يقتل من قبل أحد أطراف النزاع السياسي الذي مال
إليه الخليفة !

وفي وسط عجز الخليفة عن ضبط هذا التخبط في نظامه وجد نفسه
مضطرا للاستجد بقوة متينة قادرة على القضاء على هذه الفوضى
ولأنه يعلم مسبقا أن البويهيين يخططون لدخول بغداد ، ارتأى للخليفة
أن يضرب عصفورين بحجر فيقوم بدعوة معز الدولة ليدخل بغداد
فيكون بذلك سلم من شرهم لأنه هو من دعاهم وأيضا قضى على
هذا السرطان في نظامه .

وبالفعل سلم البريد معز الدولة مذكرة رسمية من الخليفة العباسي
يدعوه فيها لاجتياح بغداد !

استجاب معز الدولة سريعا لعرض الخليفة فانطلق نحو بغداد و
استولى على الدولة العباسية فنتف ريشها ريشة ريشة و لم يبق منها
سوى الخليفة أما باقي المسؤولين وسيناتورهات المجالس المختلفة
فغزلهم جميعا و أسس معز الدولة دولة في العراق ظاهرها هي الدولة
العباسية و باطنها هي الدولة الديلمية البويهية وكانت دولة مستقرة
آمنة بلا فوضى .

وقد فكر معز الدولة أولاً في نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ولكنه تراجع و رأى في إبقاء العباسيين مصلحة أكثر .

أما سبب إبقائه للخليفة العباسي فهو من أجل كسب طاعة المسلمين السنة له و يتألف قلوبهم ويؤكد لهم أنه محايد لا يميل لطائفة على حساب الأخرى .

وفي عام ٣٥٢ هـ رسم معز الدولة بإغلاق الأسواق العراقية كل عاشر من محرم و خروج الناس إلى الشارع و البكاء و الندب على الإمام الحسين .

و أن يضاف للمسلمين عيد ثالث هو عيد غدیر خم .

وهناك صفة مميزة في معز الدولة أنه مقطوع اليد اليسرى .

وقال ابن كثير : وكان معز الدولة حليماً كريماً عاقلاً.

وأنشأ معز الدولة مهنة ساعي البريد في دولته.

ومات بمرض في بطنه في سنة الملوك رحمه الله تعالى.

ثانيا - سيف الدولة الحمداني :

واسمه علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وكنيته أبو حسن .

قال الذهبي : صاحب حلب, مقصد الوفود، وكعبة الجود, وفارس

الإسلام، كان أديبا مليح النظم .

وما أصدق ما قاله المؤرخ الذهبي فسيف الدولة كان كابوسا للدولة

البيزنطية و أصبحت تخيله من رعبها منه في كل ناحية !

و الحمدانيين من قبيلة تغلب العربية و هي قبيلة الزير سالم و أخيه

كليب و يبدو أن هذه القبيلة لا تنجب سوى المحاربين الشجعان فقبيلة

تغلب قد هزمت بكرا من قبل واشتهر منها مقاتلون أشداء ككليب و

المهلهل و أبو نويرة و هاهي تغلب تعاود الظهور عبر سيف الدولة و

أخيه ناصر الدولة و عائلة الحمدانيين من المسلمين الشيعة .

وسيف الدولة هو فعلا السيف الأسطوري الذي حامت به الدولة

العباسية الضعيفة آنذاك عن نفسها أمام الوحش البيزنطي المتربع على

الحدود الشمالية و الذي يتحين الفرص للإنتفاض على الدولة العباسية

و التهام خيراتها و أراضيها . . . و قد اصطدمت بغداد مع بيزنطة

في أربعين معركة عبر سيفها البتار و في غالب هذه الوقعات الدموية

كان النصر حليف الدولة العباسية .

ومن لطائف سيف الدولة أن شاعره هو المتنبى و موسيقاره هو

الفارابي الشهير .

وقد كانت علاقة الحمدانيين بالبويهيين متأرجحة وهاجم سيف الدولة
مدينة حلب التي كان يحكمها كافور الإخشيدي وانتزعها منه وجعلها
عاصمة له .

وحكم من بعده ابنه سعد الدولة .

و من أقواله : عطاء الشعراء من فرائض الأمراء .

مات في سنة الملوك , عليه رحمة الله .

ثالثا - كافور الإخشيدي :

تأكد أن كافور هذا سيكسر قاعدة المستحيل لديك !

فقد كان عبدا من العبيد خادما من الخدم ، أسود اللون لا يكاد ينظر إليه أحد من شدة مذلته وحقارته .

لكن الحظ وقف إلى جانبه فقد اشتراه بدنانير معدودة الملك الإخشيدي محمد بن طغج التركي و هذا الملك هو والي للدولة العباسية على إقليم مصر و بلاد الشام .

وقد تستغرب تسميتي إياه بالملك و السبب أن الدولة العباسية آنذاك تشبه الدول الاتحادية اليوم ، فهي مقسمة إلى جمهوريات ولكل جمهورية رئيس و عاصمة تتبع بالنهاية للرئيس الأعلى في العاصمة العليا .

كذلك الدولة العباسية فهي مقسمة إلى ممالك و جمهوريات تتمتع بحكم

ذاتي جزئي و تعود في النهاية إلى حكم الخليفة في بغداد .

فمثلا مصر و بلاد الشام منطقة حكم ذاتي عاصمتها مصر و ملكها

الإخشيدي محمد بن طنج .

و منطقة الموصل منطقة حكم ذاتي عاصمتها مدينة الموصل و يحكمها

ناصر الدولة الحمداني .

و منطقة حلب هي منطقة حكم ذاتي عاصمتها حلب و ملكها سيف

الدولة .

و بالنهاية يطبع سيف الدولة و ناصر الدولة و محمد بن طنج الخليفة أمير

المؤمنين العباسي و عاصمته بغداد .

وهذا يسمى بالاصطلاح : الحكم اللامركزي . . . وظهر بسبب الضعف الذي أصاب النظام العباسي وهو وسيلة للتأقلم مع المرض المزمن الذي أصاب الدولة العباسية وعجزت عن التخلص منه .

والآن نعود إلى كافور . . .

كان كافور ذكيا جدا و أعجب به ملكه ووقربه منه ووثق فيه لدرجة أن منحه الوصاية على الحكم ريثما يكبر ابنه و أصبح كافور هو الملك بعد وفاة الإخشيد و أخذ يدبر شؤون الإمارة الخشيدية و يؤكد للخليفة أنه على طاعته ومن صفاته ما قاله الذهبي²⁰ :

(وكان فطنا، يقظا، ذكيا، يهادي المعز إلى الغرب، ويدراري ويخضع

للمطيع، ويخدع هؤلاء وهؤلاء)

192 / 16 سير أعلام النبلاء. 20

و (وكان مهيبا، سائسا، حليفا، جوادا، وقورا، لا يشبه عقله عقول

الخدّام)²¹

وقد تنافس مع سيف الدولة على الشام ثم تقاسموها فيما بينهم .

كانت يده طويلة جدا و توفي في سنة الملوك .

²¹ النبلاء 16 / 191

رابعاً - الحسن بن الفيرزان :

وكان ملك بلاد جرجان .

خامساً - الملك الكبير وشكير :

وهو أخ مرداويج .

سادساً - محمد بن إلياس :

وبعد وفاته انتهز البويهيين الفرصة فانتزعوا منه بلاده وهي بلاد كرمان

بقيادة عضد الدولة بن ركن الدولة .

نهر دجلة الأصفر!

تخيّل معي عزيزي القارئ الكريم لو كنتَ عراقياً ، قد أخذتك العادة
أن تستيقظ يومياً على نهر دجلة الصافي العذب كأنه نهر من أنهار الجنة
لكنك و ذات يوم تستيقظ و تذهب كالعادة لرؤيته فتجده أصفراً كلون
الشمس أو الرمل . . . فهل سيأخذك الفرع؟!

هذا ما حصل حرفياً لأهالي بغداد حينما اصطبحوا على نهر دجلة

وهو أصفر كلون الرمال في عام 235 هـ !!

ذكر المؤرخ ابن كثير (14 / 343) :

وفيها في شهر ذي الحجة هذا منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام،

ثم صار في لون ماء المدود ففرع الناس لذلك.

الجواب ما تراه لا ما تسمعه

في سنة 187 هـ حدثت قصة تريك هيبه هارون الرشيد صديقنا نحن

أهل الرقة و سأقلها من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي :

أناه كتاب من ملك الروم: تقفور، بنقض الهدنة التي كانت عقدت بين

المسلمين وبين الملكة: ريني، ملكة الروم

وصورة الكتاب: من تقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب: أما بعد؛

فإن الملكة التي كانت قبل كانت أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام

البيدق، فحملت إليك من أموالها أحمالاً، وذلك لضعف النساء وحمقهنّ،

فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وإلا فالسيف بيننا

وبينك.

فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضبًا حتى لم يمكن أحد أن ينظر إلى وجهه دون أن يخاطبه، وتفرّق جلساؤه من الخوف، واستعجم الرأي على الوزير، فدعا الرشيد بدواة، وكتب على ظهر كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين، إلى تقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه، لا ما تسمعه..

ثم سار ليومه، فلم يز حتى نازل مدينة هرقل، وكانت غزوة مشهورة وفتحًا مبينًا فطلب تقفور المودعة، والتزم بخراج يحمله كل سنة، فأجيب.

فلما رجع الرشيد إلى الرقة نقض الكلب العهد لإياسه من كربة الرشيد في البرد، فلم يجترئ أحد أن يبلغ الرشيد نقضه²²،

22 وذلك لشدة هيبة هارون الرشيد .

بل قال عبد الله بن يوسف التيمي :

نقض الذي أعطيته تقفور ... فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنه ... غنم أذاك به الإله كبير

وقال أبو العتاهية أبياتا، وعرضت على الرشيد، فقال: أو قد فعلها؟

فكر راجعاً في مشقة شديدة حتى أناخ بفنائمه، فلم يبرح حتى بلغ مراده،

وحاز جهاده

وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

ألا نادت هرقله بالخراب ... من الملك الموفق للصواب

غدا هارون يرعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة القضاب

ورايات يحل النصر فيها ... تمر كأنها قطع السحاب

أعلم أن الخوف قد أخذك أنت أيضا من هارون! ، لا تقلق مادمت لست

عدوا للدولة العباسية!

شخصية الحجاج الفكاھية

لعلّ أول ما يتبادر إلى ذهنك عند ذكر اسم شخصية مثل الحجاج هو
الدم و الإجمام و القسوة و القتل المبير .

أوافقك الرأي ! لكن هناك جانب آخر أغفله الكتب و البرامج

التلفزيونية و ووسائل التواصل الاجتماعي عن الحجاج بن يوسف الثقفي
والي العراق للحكومة الأموية .

و إليك بعض مواقفه الطريفة و التي ستصدم أن الحجاج بطلها .

قال ابن كثير (12 / 513) :

أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجنب سعيد بن المسيب وذلك قبل أن يلي شيئاً فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه الصلاة! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك. فلم يرد عليه، ثم مضى الحجاج إلى الحج، ثم رجع فعاد إلى الشام، ثم جاء نائبا على الحجاز، فلما قتل ابن الزبير كر راجعا إلى المدينة نائبا عليها، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب فقصده الحجاج فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده

وقال: نعم. قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرا، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك. ثم قام ومضى.

وقال كذلك (12 / 516) :

وقال الأصمعي: سمعت عمي يقول: بلغني أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم إلى المدينة لقي شيئا خارجا من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة فقال: بشر حال؛ قتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الحجاج: ومن قتله؟ قال: الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته؛ من قليل المراقبة لله. فغضب الحجاج غضبا شديدا، ثم قال: أيها الشيخ، أتعرف الحجاج إذا رأيته؟ قال: نعم. فلا عرفه الله خيرا، ولا وقاه ضرا. فكشف الحجاج عن لثامه، وقال: ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة. فلما تحقق الشيخ الجدد، قال: والله

إن هذا هو العجب يا حجاج، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا
العباس بن أبي داود، أصرع كل يوم خمس مرات، فقال الحجاج: انطلق،
فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه .

وقال (12 / 525) :

وحكى الواقدي أن الحجاج نادى في البلد؛ أن من خرج بعد العشاء
الآخرة من بيته قتل، فأتى ليلة برجل، فقال: ما أخرجك من بيتك هذه
الساعة من بعد ما سمعت المنادي؟ فقال: أما والله إني لا أكذب الأمير،
إن أُمِّي مريضة هالكة، وأنا عندها منذ ثلاثة أيام، فلما كان الساعة
أفاقت، وقالت: يا بني إني أعزم عليك بحقي عليك إلا مضيت إلى
أهلك وأولادك، فإنهم مغمومون بتخلفك عنهم. فخرجت من عندها،
فأخذني العسس وأتوا بي إليك. فقال الحجاج: ننهاكم وتعصوننا . ثم

أمر فضربت عنقه . قال: ثم أتي بآخر، فقال له الحجاج: ما أخرجك
هذه الساعة؟ فقال: والله ما أكذبك، إنه كان عندي لرجل دراهم
فأقعدني على بابه ولزمني، وقال: لا أفارقك إلا بحقي . فلما كان هذه
الساعة دخل إلى منزله، وأغلق بابه، وتركني على بابه، فجاءني طائفك
فأخذني إليك . فقال الحجاج: اضربوا عنقه . قال: ثم أتي بآخر، فقال
له: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: كنت أشرب مع قوم، فلما سكرت
خرجت من عندهم وأنا لا أدري، فأخذوني إليك . فقال الحجاج لرجل
كان عنده: ما أراه إلا صادقا . ثم قال: خلوا سبيله . فخلوا سبيله !

وقال (12 / 535) :

وقال الأصمعي: ثنا أبو عاصم النبيل، ثنا أبو حفص الثقفى، قال:
خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه فقال: ألا إن الحجاج كافر، ثم أطرق
فقال: إن الحجاج كافر. ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال: ألا إن الحجاج
كافر. فعل ذلك مراراً، ثم قال: كافر يا أهل العراق باللات والعزى.

وهذا أطرف موقف قرأته للحجاج.

ومن المصدر نفسه :

وقال الأصمعي: قال عبد الملك يوماً للحجاج: إنه ما من أحد إلا وهو

يعرف عيب نفسه، فصف لي عيب نفسك. فقال: اعفني يا أمير

المؤمنين. فأبى، فقال: أنا لجوج حقود حسود.

وقد حصل موقف طريف أيضا للخليفة عبد الملك بن مروان أحببتُ أن أذكره قبل أن أختم هذا المقال .

قال ابن كثير (12 / 387) :

وقال الأصمعي، عن أبيه، قال: أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه. فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان هذا جزائي منك! فقال: وما جزاؤك؟ فقال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أني رجل مشؤم، ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت، وكنت عليك خيرا من مائة ألف معك. فضحك وخلي سبيله.

وهذا أكثر موقف أضحكني خلال الآلاف الصفحات التي قرأتها عبر كتب التاريخ!

سفن في أزقة بغداد

حدث في عام 466 هـ أن هطل مطر غزير جدا حتى زادت دجلة أيضا ففاض الماء و أغرق بغداد فهربن الخادمت من قصر الخلافة قبل أن يلتقطن قماشات أغطية الرأس كما هرب الخليفة و غرق مشفى العضدي و أتى الجرف معه بكائنات النهر إلى أحياء بغداد كالأفاعي و الأسماك و ضرب الموج سور سنجار حتى هدمه كليا و أصبح الناس يتقلون بالسفن الخشبية بين الأحياء حتى تراجع السيل . . و جفّ !

ذكرها ابن كثير حوادث سنة 466 هـ .

عقارب طيارة في بغداد

في سنة 524 هـ ، تعرضت بغداد لهجوم مفاجئ من قبل كائنات غريبة

مهاجرة يراها أهل بغداد للمرة الأولى وقد فرح الناس منها حتى أخلوا

الشوارع والأحياء وأغلقوا منازلهم!

قال ابن كثير (16 / 284) :

وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان، فخاف الناس منها خوفا

شديدا .

يوم عصب على الرقة

كان أهل الرقة في سنة 288 هـ يعيشون في أمن و رخاء يقومون
بأعمالهم اليومية بكل جد وكد و في تلك اللحظات الهادئة الاعتيادية
صُدم أهل الرقة بأن الجيش البيزنطي على أسوار المدينة قد زحف إليها
من البر و البحر و طوّقها و استطاع اقتحامها فأسر خمسة عشر ألفاً
طفلاً و طفلة و ساقوهم أسارى مقيدين بالأغلال إلى بيزنطة عاصمة
دولة بيزنطة .

فغادورها و النساء تجري خلف الجيش تريد أبناءها أما الرجال فذهبوا
للاستغاثة بالخليفة و طلب النجدة فحسبنا الله و نعم الوكيل !

هل الخليفة بحاجة إلى مصحة نفسية؟!

و أعني بذلك الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الغريب و الذي لم يستطع
أحد أن يفهم عليه لا في زمانه ولا في زماننا . .

و الدولة الفاطمية ذكرتها في هذا الكتاب غير مرة و لستُ بصدد شرح
تاريخها بل سأحدث عن هذه الخليفة بالذات!

أولا : ما اسمه؟

الخليفة منصور بن الخليفة العزيز نزار بن الخليفة المعز معد بن الخليفة
المنصور إسماعيل بن الخليفة القائم محمد بن الخليفة المهدي الذي هو من
أهالي سلمية .

ثانيا - غرائبه :

- 1- حرّم أكل الملوخية الطعام المحبب إلى المصريين .
- 2- حرّم شراب الشعير .
- 3- قال أن السمك الذي لا قشر عليه حرام .²³
- 4- حرّم أكل العنب و أمر باقتلاع كل أشجار العنب من الأراضي الفاطمية .
- 5- حرّم بيع الرطب .
- 6- شدد على المسيحيين و اليهود فأمر كل منهم أن يرتدي في عنقه صليب زنته رطلا ونصف كاملا! و سحب منهم الجنسية الفاطمية و حرّمهم حقوقهم كافة .
- 7- أصدرأمرأ بهدم كنيسة القيامة في القدس!

²³ رصد بائعا يبيعهها فأمر بقتله .

- 8- عزل حمامات المسلمين عن حمامات اليهود و المسيح .
- 9- أصدر مرسوما رئاسيا بهدم كل كنائس مصر في يوم واحد .
- 10- ثم أصدر تعميما خير المسيح بين الإسلام أو الطرد من فاطمة²⁴ .
- 11- أنشأ سجنا كبيرا سَمَّاه جهنم .
- 12- أصدر تعميما منع النساء كليا من الخروج من البيت و حذر الناس من بيع أحذية للنساء تحت طائلة العقوبة المناسبة .

أعني الدولة الفاطمية .²⁴

13- و آخر ما فاجئنا به الحاكم أن أمر بقلب نظام توقيت عمل

الدولة كله إلى الليلي حيث يفتح السوق و مؤسسات الدولة و

قصر الخلافة حصرا عند آذان المغرب و تغلق جميعها عند آذان

الفجر و يعود الناس إلى منازلهم عندها و تكفل الجهات المعنية

بمنع المحلات من الافتتاح نهارا !

هل فاجئتك حزمة قرارات الحاكم ؟ !

المفاجأة الأخرى أنه ألغى بعضها و تراجع عنها و الأكثر مفاجأة أنه عاد

إليها بعد إلغائها ! و الأكثر من هذا كله مفاجأة أنه عاد و تراجع عنها

مرة أخرى ثم عاد و طبقها مجددا !

و حدث موقف طريف عندما أصدر قراره الأخير بقلب نظام توقيت
عمل الدولة إلى الليل فكان مرة يسير مع الشرطة لفحص مدى استجابة
الشعب الفاطمي لقرار قائده الأخير فرأى رجلا لا يزال مفتحا دكانه في
وسط النهار مخالفا بذلك التوقيت الجديد ، فقال له : أما بلغك
القرار ؟ ! ، فقال له الرجل : بلى يا أمير المؤمنين لكنني أسهر في عملي !
فضحك الخليفة و تركه وشأنه !

و الآن أردف لك السؤال ذاته : هل تعتقد أن الحاكم بحاجة إلى مصحة
نفسية ؟ !

أحد المؤرخين أجاب بـ : لا !

بل وصفه بالذكاء الفاحش! و انظر إلى تفسيره لقرارات الحاكم و التي
ستدهشك حتما و تقنعك أن الحاكم صائب فيما قرر وهو ليس
بمجنون :

بعد تحويل العمل لليالي أصدر أمرا بتعليق المصاييح في الشوارع فازدهرت
الملاهي الليلة و زاد تواجد النساء في هذه الأماكن فقرر الحاكم منع
النساء من الخروج كلياً ثم منع الرجال من الذهاب للمقاهي و عندما
عجز الحاكم عن ضبط هذا الأمر أعيد العمل بالتوقيت النهاري بعد
سنتين من التوقيت الليلي .

منع الشعير لأنه يستخدم في صناعة الخمر و كذلك العنب . . . و منع
الملوخية من أجل توفير مساحة أكثر لزراعة الحنطة في ظل الأزمة
الاقتصادية فلم يجد وسيلة إلا أن يقول للناس أنها حرام!

كما وقعت فاطمة اتفاقية مع بيزنطة من أجل استيراد القمح .

ومنع ذبح البقر للحفاظ على الثروة الحيوانية و منع الخبازين من عجن العجين بأقدامهم بإشارة الطبيب .

أما السمك من ذلك النوع فحرم أكله لأنه يقوم بتنظيف المجرات المائية و تأمين مصدر شرب صحي للناس و المحاصيل .

و الآن للمرة الثالثة أوجه سؤالاً لك : هل تعتقد أن الحاكم مجنون ؟ !

ستقول : لا ، بالتأكيد !

فالعبرة هنا ألا تحكم على أحد من النظرة الأولى مهما بدا لك حتى

تراجعه جيداً !

أما شرح أهداف قرارات الحاكم الغريبة فهي من كتاب (تاريخ الفاطميين

- د. محمد سهيل طقوش)

جث محددة الهوية

لا يزال التاريخ يدهشنا بما يحصل فيه فإليك ما ذكره ابن كثير في سنة

304 هـ :

ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قتلوا في سنة سبعين

من الهجرة مكتوبة أسماءهم في رقاع مربوطة بأذانهم وأجسادهم طرية

كما هي .

من كان المؤرخ الطبيب وكم مستشفى في 304 هـ؟!!

وقد ثابت بن سنان الطبيب المؤرخ أمر المارستانات ببغداد في هذه
السنة وكانت خمسة .

جنكيز خان الرحيم

هذا الاسم مكروه في العالم الإسلامي و تقعشر الأبدان لمجرد ذكره أمام العرب أو سكان الشرق الأوسط كافة لأن هذا الاسم ارتبط تاريخيا بمجازر دموية ارتكبتها بحق المسلمين بلا رحمة ولا شفقة حتى أبيد من أمة محمد على يديه الملايين و الملايين و أحرق مدنا بكاملها و مسحها عن وجه الأرض و ذنبها الوحيد أنها مسلمة و إليك ما قاله المؤرخ ابن الأثير الذي عاصره في سنة 617 هـ :

قد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه

ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمِّي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا
منسيا، إلا أنني حثي جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف،
ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة
العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت
الخلايق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه
وتعالى آدم، إلى الآن، لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن
ما يقاربها ولا ما يدانيها . . .) انتهى كلام المؤرخ.

وحكى عن جنود جنكيز خان أن (وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا
النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإننا لله
وإننا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)

مع العلم أن هذا المؤرخ من المعاصرين لتلك الحقبة فلقد رأى بعينه ما فعله جنكيز خان من قتل الأطفال و اغتصاب النساء و قتلهن و الرجال .

فهذا الرجل متوحش عديم الرحمة و الشفقة قلبه أصلب من جبل قاسيون يقتل في كل مدينة يدخلها مليوناً و يرميهم بشوارعها يتعفنون و يتآكلون .

لكن النفس البشرية غير مستقرة فمهما كان الرجل قاسياً لا يستطيع دون أن يظهر بعض العطف أحياناً و لعل جنكيز خان السفاح المبير غير مستثنى فإليك موقفه مع امرأة تقلا عن ابن كثير (17 / 166) :

وأمر بقتل ثلاثة قد قضت الياسق²⁵ بقتلهم، فإذا امرأة تبكي وتلطم. فقال: ما هذه؟ أحضروها. فقالت: هذا ابني، وهذا أخي، وهذا زوجي. فقال: اختاري واحدا منهم حتى أطلقه لك. فقالت: الزوج يجيء مثله،

25 الكتاب المقدس عند المغول.

والابن كذلك، والأخ لا عوض له . فاستحسن ذلك منها، وأطلق الثلاثة

لها ((.

وفي الختام

وفي الختام أتمنى عزيزي القارئ أن هذه النزهة البسيطة في ربوع التاريخ
قد أدت مقصدها بالإفادة والإمتاع وقد حملت عبرة وموعظة وتسلية
أيضا وقد حملني على إنجاز هذا الكتاب رغبتني المطلقة بتقديم للمكتبة
العربية فائدة بسيطة مختصرة يستقي منها القارئ العربي حكمة سريعة و
نسأل الله التوفيق والسداد .

د. محمد العثمان

الأربعاء 13 / 9 / 2023

الفهرس

- 3 الرقة العاصمة الرسمية للدولة العباسية
- 8 حمرة في السماء
- 9..... الخليفة المأمون
- 21..... رجل يقتل النساء فقط
- 22..... أهل سلمية هم مؤسسو الدولة الفاطمية
- 23..... كيف قصف أبو العلاء جبهة الخليفة
- 27..... أيام مأساوية على حلب
- 35..... هل تعلم متى نهاية العالم؟
- 38..... ما قصة التاريخ الإسلامي مع الرقم ستة؟!
- 40..... اللهجات العامية قديمة
- 42..... واحد و عشرين يوما و الكعبة عارية بلا كسوتها! .

- 45..... وليته فعل
- 46.. أول كلية للطب في التاريخ العربي بنتها الحكومة العباسية!
- 50..... ماذا حدث للنجوم في سماء عام ٥٩٩ هـ
- 52.... هل اكتشف العباسيون النفط سنة ٥٣٣ هـ؟
- 53.... شعابن أم نيروز؟! ما قصة العيد الإبراهيمي؟!
- 55..... مطر في آب
- 56..... قصة زوجة و زوجها سنة ٢٨٦ هـ تستحق التخليد
- 60..... انفجار كوكب و سماع صوته المرعب
- 61..... سنة الملوك
- 80 نهر دجلة الأصفر
- 82 الجواب ما تراه لا ما تسمعه!
- 86 شخصية الحجاج الفكاية

- 93 سفن في أزقة بغداد
- 94 عقارب طيارة في بغداد
- 95..... يوم عصيب على الرقة
- 96 هل الخليفة بحاجة إلى مصحة نفسية
- 102..... جثث محددة الهوية
- 103..... من كان المؤرخ الطبيب وكم مستشفى في 304 هـ؟!
- 104..... جنكيز خان الرحيم
- 108..... الختام